العتبة العباسية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية

إذاعة الكفيل

سلسلة من حلقات برامج إذاعة الكفيل

صوت المرأة المسلمة

زوناهم هدى

إعداد

نوارس فائق

العتبة العباسية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
إذاعة الكفيل

كربلاء المقدسة

FM-95.3MHZ

النجف الأشرف

FM-103.9MHZ

ذي قار

FM-95.3MHZ

ميسان

FM-98.3MHZ

radio@alkafeel.net

الكتاب: زدناهم هدى.
الإعداد: نوارس فائق.
المونتاج الإذاعي: نور حسن.
الناشر: قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة العباسية المقدسة/ شعبة إذاعة الكفيل.
التصميم والإخراج الطباعي: أمل نصير الاسعداوي.
التدقيق اللغوي: موفق هاشم الرحال.
المطبعة: مطبعة دار الكفيل.
الطبعة: الأولى.
عدد النسخ: ٢٠٠٠.

ربيع الثاني ١٤٣٧هـ - كانون الثاني ٢٠١٦م.

مُقَدِّمَة

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على محمدٍ وآله الطاهرين وسلامٌ على أصحابه البررة المنتجبين واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

أما بعد:

لا يخفى أنَّنا لازلنا بحاجة إلى تكريس الجهود ومضاعفتها نحو نشر المفاهيم الأخلاقية والتربوية، وترسيخ المفاهيم الإيمانية التي تضمنتها رسالة الإسلام لبناء الفرد بناءاً فعلياً حقيقياً؛ ليكون انطلاقة سليمة لبناء ذلك الكيان الإنساني الشامخ الذي ماهو إلا اللبنة الأولى لبناء مجتمع إسلامي راسخ البنيان، عتيد المراسي، لذا ومساهمةً في ذلك جاءت برامج إذاعة الكفيل صوت المرأة المسلمة كسبيل للوصول إلى ذلك، وقد أخذت هذه البرامج طريقها إلى أسماع الكثيرين عبر أثيرها وعبر شبكة الإنترنت العالمية صوتاً، ولأجل تعميم الفائدة إرتأت الإذاعة إيصال برامجها كتابياً إلى أيدي الذين لم يسعفهم الوقت لسماعها وذلك بطباعة بعض من برامجها وإصدارها كراريساً.

الحلقة الأولى

حضور الله تعالى في حياتنا

في القرب الإلهي سعادة

إنّ الإسلام ليس منهج إعتقاد وإيمان في القلب فحسب، بل هو منهج حياة إنسانية وإجتماعية واقعية، يتجسّد فيها الإعتقاد والإيمان ممارسة عملية في جميع جوانب الحياة ومتطلّباتها الفردية والإجتماعية، وذلك على مبدأ التناصح والإحسان والتضحية والإيثار، قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى﴾[1].

فالتقيّد بهذا الأمر الإلهي يعصم الإنسان عن التقصير في واجباته، وفي مراعاة حقوق المجتمع وعلى رأسها تحصينه من الآفات، وقد حثّ النبي محمدﷺ كل مسلم ليكون مسؤولاً في بيئته الإجتماعية. من هذا المنطلق سيكون هذا البرنامج زاداً يزخر بالمفاهيم الإجتماعية والأخلاقية التي نحتاجها، كحاجتنا إلى الماء والغذاء والهواء في حياتنا بغية الوصول إلى شاطئ النجاة.

لا يوجد كمالٌ للإنسان أجلّ وأرفع من لقاء الله سبحانه وتعالى، وهو من أسمى مقامات الإنسانية الشامخة. ولا سعادة أكبر للمؤمن من التقرّب إلى الله تعالى صاحب الكمال المحض، والقدرة اللامحدودة، والعلم المطلق، ولا راحة أعلى من اليقين بأنّ الإنسان لا محالة راجعٌ إلى

(١) المائدة ٢.

ربٍّ ودودٍ رحيمٍ.

لقاء الله في الدنيا قبل الآخرة

قد بشّر عزّ وجل المؤمنين بلقائه فقال: ﴿**وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّكُم مُّلاَقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ**﴾[1]. وإنّ الكافرين بلقائه هم في الحقيقة يائسون من رحمة الله، ولهم عذابٌ أليم؛ أما أهل الإيمان والخشوع فإنّهم على يقينٍ بلقاء ربّهم وأنّهم إليه راجعون، بل وإنّ قلوبهم وجلةٌ وفرحةٌ برجوعهم إليه سبحانه تعالى؛ لأنّهم على يقينٍ أنّ الله تعالى لم يخلقهم عبثاً بل يعلمون علم اليقين أنّه اصطنعهم لنفسه، لذا تكون نفوس المؤمنين مطمئنةً بالرجوع إلى ربِّها، راضيةً بالدخول في عباده الصالحين والوفود إلى جنّة لقائه. وإن لقاء الله تعالى يكون على نحوين، لقاءٌ في الدنيا ولقاءٌ في يوم القيامة عند البعث والحساب.

وليس المقصود بلقاء الحق تعالى باللقاء الحسّي ورؤيته تعالى بالبصر المادي، لأنّ الله تعالى ليس بجسمٍ، ولا يحدّه مكان، ولا يُرى بالعين، بل المراد به اللقاء المعنوي، بمعنى حضوره تعالى الدائم في حياتنا، وعدم الغفلة عنه أبداً، والتوجّه إليه باستمرار، ومشاهدة آياته وآثار قدرته تعالى في كل شيءٍ. فلا نعبد غيره، ولا ندعو سواه، ولا نطلب حوائجنا

(١) البقرة ٢٢٣.

إلّا منه. فالإنسان عندما يدرك أنّ الله تعالى خالقه، ومالك كل شيء، وبيده الأمر كله، وهو في السماء إله، وفي الأرض إله، وهو ربّ العالمين، فمِن الطبيعي أن يتوجّه إليه بالعبودية له والتسليم.

إن الوصول إلى هذه المنزلة الإنسانية الرفيعة، من لقاء الحق والحضور في محضره إنّما يصبح ميسوراً في حالةٍ واحدةٍ فقط، وهي عندما يصبح الله تعالى حاضراً دائماً في حياة الإنسان، فيرى الإنسان خالقه حاضراً وموجوداً في جميع شؤون حياته، ويشاهد نفسه دائماً في مشهد الله العظيم وفي ساحة حسابه يوم القيامة. وكيف لا يكون ذلك وهو تعالى معه أينما ولّى وجهه وهو أقرب إليه من حبل الوريد، وهو شاهدٌ على كل حركةٍ يقوم بها وكلّ لفظةٍ ينطق بها.

فالإنسان إذا أراد أن يحصل على مقعد صدقٍ عند الله، ينبغي له في البداية أن يرى الله حاضراً وناظراً إليه في جميع شؤونه، ثم بعد ذلك يؤدّي على أساس هذا الشهود جميع الأعمال خالصةً لوجه الله. فممّا أوصى به رسول اللهﷺ أبا ذر رضوان الله عليه أن قال له: ((**يا أبا ذرّ إنك منّا أهل البيت، وإني موصيك بوصيّة فاحفظها، فإنّها جامعة لطرقِ الخير وسبلِه، فإنك إن حفظتها كان لك بها كفلان، يا أبا ذرّ اعبد الله كأنك تراه، فإن كنت لا تراه فإنه يراك، واعلم أن أول عبادة الله المعرِفة به**)). هذه الحالة

تحصل للإنسان نتيجة الطّهر والتقوى والعبادة وتهذيب النفس، وإذا أدرك الإنسان أنّه في محضر الله، وأنه مطّلعٌ على جميع حركاته وسكناته، فلن يقوم بالأعمال التي لا ترضي الله، ولن يعصيه أبـداً، بل سوف يسعى دائماً لأن يجعل كل أعماله موافقة لإرادته تعالى وخالصةً لوجهه سبحانه. فالله تعالى يرى ويشاهد أعمال الإنسان، وليس هو وحده وإنما رسوله صلى الله عليه وآله والأئمة المعصومون عليهم السلام شاهدون على أفعالنا أيضاً. فإذا أدرك الإنسان هذه الحقيقة وهي أن كل أعماله مشهودة عند الله وملائكته الذين يكتبون كل شيء وكذلك الأئمة المعصومين عليهم السلام، عندها سوف يسعى لاجتناب المعاصي وفعل الصّالحات. أما إذا لم يطّلع الإنسان على أصل أن «الله معه» دائماً، وظنّ أنه غائبٌ عنه، فإنّه سوف يغرق بالغفلة، وسوف يتهاون في أداء الأعمال الواجبة، ولن يهتمّ باجتناب المحرّمات، بخلاف ما إذا أدرك أنّ الله تعالى محيطٌ به ووجد نفسه دائماً في مشهده ومحضره، فإنه يسعى لأداء كل الأعمال طبق الإرادة الإلهية.

وهذه الأعمال التي تؤدّى وفق إرادة الله هي أعمالٌ مقرّبةٌ إلى الله، كالصلاة مثلاً التي هي «قربان كل تقي» كما ورد عن الإمام الرضا عليه السلام. وإذا وصل الإنسان إلى هذا الحدّ فاعتقد أنّ الله ناظرٌ إلى أعماله، راعى الخلوص أيضاً في كل أعماله.

الحلقة الثانية

سبيل الوصول إلى الكمال

الإيمان مفتاح السعادة والقرب من الله

فبعد أن تحدّثنا في الحلقة السابقة حول عدم وجود كمالٍ للإنسان أرفع من لقاء الله والحضور الدائم في محضره. فأيّ سعادة أكبر للإنسان من التقرّب إلى الكمال المحض؟ فإذا كان كمال الإنسان في التقرّب إلى الله، فما هو الطريق الموصل إلى ذلك؟ وإذا كانت سعادة الإنسان في أن يكون الحقّ تعالى حاضراً دائماً في حياته -لا يغيب عنه طرفة عين أبداً- فما هو السّبيل إلى ذلك؟

إنّ الآية الكريمة التالية من كتاب الله العزيز تبيّن لنا جوانب هذا الطريق، والتي بمراعاتها يضع الإنسان قدمه على الصّراط الإلهي المستقيم، يقول الله تعالى في محكم كتابه: ﴿**الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ**﴾[1]. فالآية تشير بشكل واضح إلى أنّ الإيمان، والهجرة، والجهاد في سبيل الله، من العوامل الأساسيّة التي تمهّد الأرضيّة للقاء الحق، والوصول إلى درجةٍ عظيمة عنده؛ ليكون في نهاية المطاف من الفائزين.

إذاً فشرط التقرّب إلى الله وصيرورة الإنسان عند الله -كما هو حال

(١) التوبة ٢٠.

الشّهيد- هو في أن يتحلّى المجاهد بالإيمان الصّحيح والواعي، ثم يشمّر عن ساعد الهمّة ليهاجر إلى الله ورسوله، ثم ينزل إلى ميدان المجاهدة ومقارعة الأعداء بهمّةٍ عالية وبأسٍ شديد حتى ينال شرف القتل في سبيل الله، فيصل إلى ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فيناجي ربه قائلاً: «إلهي بك هامت القلوب الواهة، وعلى معرفتك جمعت العقول المتباينة، فلا تطمئنّ القلوب إلّا بذكراك، ولا تسكن النفوس إلّا عند رؤياك».

والإيمان هو من شؤون البشر وميولهم التي خُلقت معهم، فأن نقول «إنسان» فهذا يعني أنّنا أمام كائن يمتلك ميلاً طبيعياً نحو الإيمان بشيء ما، فلا يخلو إنسان من هذا الميل أو الشعور. والإيمان هو نوع من الإذعان أو التسليم لحقيقة أو لشيء نعتقد أنه حقيقة، والنّفس التي تؤمن به تعيش حالة من الخضوع أو التسليم له. والإيمان في الإسلام يقابل الكفر، وهو الذي يكون حساب البشر في يوم القيامة على أساسه، وهو الإيمان بالله الواحد الأحد الذي خلق كل شيء وهو ربّ العالمين. فالإيمان الإسلامي يختلف عن أيّ إيمان آخر، وبمعرفته يمكن أن نقول: «إنّ كل إيمان آخر هو الكفر الحقيقيّ الذي سوف يظهر في يومٍ من الأيام».

لقد خلق الله الإنسان لكي يصل إلى هدفٍ واقعيّ تتحقّق عنده سعادته المطلقة، ويمثّل لقاء الله ودخول جنّته هذه السعادة المطلقة التي هي هدف الإنسان، وما لم يدخل هذا الإنسان إلى الجنّة فهو من أصحاب النار والشّقاء الأبدي. وبمراجعة الآيات التي تحدّثت عن شروط الفوز بالجنّة والنّجاة من العذاب، نجد أنّ الإيمان بالله عزّ وجلّ هو العامل الأساسيّ بل الوحيد؛ لأن كل العوامل الأخرى لا تقف إلى جانبه بل تنبع منه، وكذلك إذا راجعنا جميع الآيات التي تحدّثت عن سبب الدّخول إلى جهنّم والعذاب الإلهي والحرمان من لقاء الحق تعالى، نجد أنّ السّبب الوحيد هو الكفر بالله سبحانه. وسرّ ذلك أنّ الإيمان والكفر هما الموجّه لمسيرة الإنسان، فما يؤمن به الإنسان ويعتقد به هو الذي سيكون هدفه النهائي، وأولئك الذين آمنوا بالله حقاً، وتوجّهوا إليه وطلبوه وسلكوا الطريق المؤدّي إليه، كانت عاقبتهم الوصول إليه ودخول جنّته التي هي مقام لقائه. فلا إمكانية للوصول إلى هذه المنزلة الرّفيعة إلا بعد الإيمان به تعالى وبإمكانية لقائه ﴿**الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ**﴾[1].

والقرآن الكريم يحدّثنا ويؤكّد لنا على أنّ سعادة الأفراد والمجتمعات

(١) التوبة ٢٠.

تكمن في إيمانها، وأنّ شقاءهم حاصل كفرهم، فالخير يبدأ من الإيمان وينمو معه، والشرّ مستبطن في الكفر ويستشري به.

ولا شكّ كذلك أنّ الإيمان وحده لا يكفي للوصول إلى السعادة، فالإيمان إذا لم يصل إلى درجة يحرّك معها الإنسان نحو مفيض الخير والكمال فإنّه لن يكون مؤثّراً. بل الإيمان الذي يولّد السّعي هو الذي سيكون مؤثّراً، وأعظم أثرٍ للإيمان الواقعي هو أنّه يجعل قلب صاحبه متوجّهاً ومُقبلاً إلى الله سبحانه وتعالى، بينما يكون الكفر إعراضاً وإغلاقاً لهذا القلب. وهذا هو التّوحيد ومعنى أن يكون المرء موحّداً. فالتوحيد ليس مجرّد إعتقاد بأنّ الله خالق كل شيء وأنه لم يشرك معه أحداً في خلقه، بل يعني أيضاً الإعتقاد بأن كل خير نريده أو نحتاج إليه، فهو موجود عند الله، وعلينا أن نطلبه منه. ونفس هذا الإعتقاد يعد درجة من درجات الإيمان، وهو إذا استولى على قلب الإنسان أخرج كل ما ينافي هذا الإعتقاد الحقيقي من قلبه، فإنّ صاحبه يصل إلى أعلى درجات الإيمان؛ لأنّ الإيمان الكامل هو الذي يكون القلب معه لله وحده دون سواه. فتكون جميع تحرّكات هذا الإنسان إلهية، وعندها يصبح في أعلى درجات الإستعداد لاستقبال ألطاف الحق ومواهبه السنية.

وأمّا الوسيلة الفضلى لنيل هذه الدرجة من الإيمان وتعميقها

وترسيخها في القلب، فهي العمل الصّالح ﴿**وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلا**﴾[1]، وأهمّ هذه الأعمال المقرّبة إلى الله والهادية إليه الهجرة والجهاد في سبيل الله ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ**﴾[2].

(١) طه ٧٥.

(٢) المائدة ٢.

الحلقة الثالثة

الإيمان والتسليم لله تعالى

تحاكموا إلى النبي ﷺ خير لكم

قال الله تعالى في محكم كتابه: ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾[1].

لقد أقسم الله تعالى في الآية الكريمة بأنَّ الأفراد لا يمكن أن يمتلكوا إيماناً حقيقياً إلا إذا تحاكموا إلى النبي ﷺ وقضائه، ولم يتحاكموا إلى غيره، بل عليهم أنْ يرجعوا إليه في كل ما يشجر بينهم ويختلط عليهم أمره، فالآية الحاضرة تبيّن علائم الإيمان الواقعي الراسخ في ثلاث مراحل:

-المرحلة الأُولى: أن يتحاكموا إلى النبي ﷺ وحكمه النابع من الحكم الإلهي فيما اختلفوا فيه -كبيراً كان أم صغيراً- لا إلى الطواغيت وحكّام الجور والباطل.

-المرحلة الثانية: أن لا يشعروا بأيّ إنزعاج أو حرج في نفوسهم تجاه أحكام الرسول ﷺ وقضائه العادل التي هي -في الحقيقة- الأوامر الإلهية نفسها، ولا يسيئوا الظن بهذه الأحكام.

---

(١) النساء ٦٥.

-أما المرحلة الثالثة : فهي أن يطبّقوا تلك الأحكام -في مرحلة تنفيذها- تطبيقاً كاملاً، ويسلّموا أمام الحقّ تسليماً مطلقاً، فالإنسان قد يسلّم في مقام النظر بالحكم الصادر من المولى أو رسوله، ولكنّه في مقام العمل لا يصدر منه أيّ شيء.

ومن الواضح أَنَّ القبول بأيّ دين وأحكامه فيما إذا كانت في مصلحة الإنسان، وكانت مناسبة لمنافعه وتطلّعاته الشخصية، لا يمكن أن يكون دليلاً على إيمانه بذلك الدين، بل يثبت ذلك إذا كانت تلك الأحكام في الاتّجاه المعاكس لمنافعه وتطلّعاته ظاهراً، وإن كانت مطابقة للحقّ والعدل في الواقع.

تحاكموا وسلّموا أمركم لله ورسوله ﷺ

إن القبول بالأحكام والتسليم لها تسليماً كاملاً هو دليل على الإيمان ورسوخ الإعتقاد. والمُطالع للآيات والروايات يجد كمّاً هائلاً منها يتحدّث عن التسليم لأمر الله تعالى ولأمر رسوله ﷺ ولأمر أهل بيته عليهم السلام.

ونحن في هذا الزمان الذي كثرت فيه الشبهات ينبغي أن نكون حريصين جداً على التسليم وإن خفيت علينا حكم الأشياء، «إِنَّ دِينَ

الله لَا يُصَابُ بِالْعُقُولِ النَّاقِصَةِ وَالْآرَاءِ الْبَاطِلَةِ وَالْمَقَايِيسِ الْفَاسِدَةِ وَلَا يُصَابُ إِلَّا بِالتَّسْلِيمِ، فَمَنْ سَلَّمَ لَنَا سَلِمَ وَمَنِ اهْتَدَى بِنَا هُدِيَ»، و لكي نستكمل الإيمان علينا أن نعمل بما روي عن إمامنا الصادق عليه السلام حيث قال: ((**من سره أن يستكمل الإيمان كله فليقل: القول مني في جميع الأشياء قول آل محمد صلى الله عليه وآله، فيما أسروا وما أعلنوا وفيما بلغني عنهم وفيما لم يبلغني**)).

ولنعلم أَنَّ هذا التسليم المطلق لله تعالى وأولياء أمورنا يرجع علينا بالنفع والفائدة في الدنيا والآخرة، كيف والأحكام الإلهية صادرة من منبع الخير والحكمة المطلقة!

فقد يكون الإنسان المسكين معتقداً بمصلحةٍ له في أمرٍ ما، وهي في الواقع مفسدةٌ له، والعكس صحيح أيضاً، وعليه فإذا كنّا نؤمن بحكمة ربّنا وبتدبيره، وأنَّ نبيّه وأهل بيته عليهم السلام لا يتجاوزون ربّهم في أفعالهم وأقوالهم: ﴿**وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ۝ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى**﴾[1]، فلا مجال إلاَّ لأنّ نكون مسلّمين لهم في كل صغيرةٍ وكبيرة.

وإذا أردنا الآن أن نذكر شخصيّة بلغت القمّة في التسليم لأمر الله تعالى، فإنّه تتراءى أمامنا شخصية سيدتنا ومولاتنا زينب عليها السلام، وذلك

(١) النجم (٣-٥).

لأنّ العقيلة قد عاشت فقدان جدّها رسول الله ﷺ، وكانت قد دعت الله عزّ وجلّ أن يشفي جدها، ولكنَّ أمر الله كان مفعولاً، وعاشت فقدان أمّها الصديقة الطاهرة عليها السلام وكانت قد دعت الله أن يشفي أمها، ولكنّ الزهراء عليها السلام استشهدت، وعاشت سيدتنا زينب عليها السلام فقدان أخيها الحسن عليه السلام وكانت قد دعت الله أن يشفي أخاها الحسن عليه السلام ولكنّ أخاها استشهد، عاشت سيدتنا زينب عليها السلام فقدان الأخ والكفيل والأبناء والأقرباء في يوم واحد، وكانت قد دعت الله أن يسلِّمهم، ولكنّهم استشهدوا.

نعم سيدتنا زينب عليها السلام في كل هذه المواقف دعت الله أن يبقي أحبّتها، ولكنّها عندما لم يستجب الله دعاءها، لم تقل كما يقول بعض الناس حين لم يستجب الله دعاءهم في مسألة معيّنة (الله لا يحبّني)، بل قالت عليها السلام عندما خاطبها ذلك اللعين ابن زياد مستهزءاً: «كيف رأيت صنع الله بأخيك وأهل بيتك»؟! فقالت عليها السلام: «مَا رَأَيْتُ إِلَّا جَمِيلاً»[1]. جعلنا الله جميعاً من المسلّمين لله ولرسوله ولأوليائه عليهم السلام.

(١) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٥، ص١٦٦.

الحلقة الرابعة

العاقبة الحسنة

كيف نغتنم أعمارنا؟

يُجمع بنو البشر على حقيقةٍ قطعيّةٍ غير قابلةٍ للإنكار، ألا وهي الموت ووقوع إنقطاع حياة الإنسان في هذه الدنيا، في حين يقع الإختلاف والإفتراق في تحديد حقيقة وماهيّة هذا الهادم للّذات وطبيعته ولابُدّية وحتميّة وقوعه.

ومن جملة الأمور التي وردت في الكتاب الكريم حالة الإنسان عند مواجهته الواقعيّة للموت فيراه رأي العين، ويذكر لنا القرآن الكريم نوعاً من الخطاب والحوار بين هذا الإنسان الذي وصل إلى هذه الحقيقة التي لا مفرّ منها، وبين خالقه وبارئه صاحب السلطة والقدرة على محاسبته، ونشر كتابه بما يحوي من صالح الأعمال وطالحها. يقول تبارك وتعالى: ﴿**حَتَّى إِذَا جَاء أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ*لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا**﴾[1]. لكن يتفاجئ الإنسان ويصطدم باستحالة العودة، فاليوم حسابٌ ولا عمل، وقد أغفل عُمُراً كاملاً من إمكانيّة العمل دون حساب، فكيف نغتنم أعمارنا؟

لو أراد المرءُ النجاة ولو وفق قاعدة عبادة التجار، فما عليه إلا أن يغتنم عمره في هذه الدنيا بالعمل الصالح، فأوّل شيءٍ يحاسب عليه هو

(١) المؤمنون ٩٩.

عمره، حيث يقال له: في أيّ شيء أفنيت عمرك؟ فإن قال: في المعاصي والملاهي وليس له جواب غير هذا، كان مستحقاً أن يكون نزيل جهنم خالداً فيها، ليكون هو ومن معه ﴿**يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ**..﴾[1] فيأتيهم الجواب: ﴿**أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم**﴾[2]. وعن النبي الأعظمﷺ، أَنَّهُ قال: ((**لا تزول قدَما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع : عن عمره فيما أفناه؟**..).

ومن هذا المنطلق ينبغي على كُلِّ عاقلٍ ضنينٍ بنفسه من الهلاك والعذاب أن يحرص على عمره وأيامه التي منحها الله عزّ وجلّ له في هذه الحياة، فيستنفذها في زراعة الخير والصلاح فيها ليحصد الفلاح والنجاح في الآخرة. فقد علم أرباب القلوب أنَّ الدنيا مزرعة الآخرة، والقلب كالأرض، والإيمان كالبذر فيه، والطاعات جارية مجرى تقليب الأرض وتطهيرها، ومجرى حفر الأنهار وسياقة الماء إليها، والقلب المستغرق بالدنيا كالأرض السبخة التي لا ينمو فيها البذر ويوم القيامة الحصاد، ولا يحصد أحد إلا ما زرع، ولا ينمو زرع إلا من بذر الإيمان، وقلّما ينفع إيمان مع خبث القلب وسوء أخلاقه، كما لا ينمو بذر في أرض سبخة.

(١) فاطر ٣٧.

(٢) فاطر ٣٧.

ما العمر إلا أيام معدودة

لا ينبغي أن يغفل المرء عن أيامه المتصرِّمة فتسير به دون أن يدري بمسيرها ومقصدها، وإنّما ينبغي أن يحسبها حساباً دقيقاً لا يفوت معه لحظة، حساباً أشدّ وأحرص من حساب ماله وربحه وتجارته، وفي هذا ورد عن رسول الله ﷺ: ((**كن على عمرك أشح منك على درهمك ودينارك**))، لأنَّه كُلُّ رأس ماله، بل كُلُّه الذي ينقضي بانقضائه، فعمرك مجموع أيام وكلّما انقضى منه يومٌ نقص عمرك وذهب جزءٌ منك.

فما العمر إلا ساعاتٌ معدودات مقسّمةٌ على الأيام، واليوم ليلٌ ونهار، ليلٌ تنامه ونهارٌ تقضي فتراته في أشغال وأعمال شتى، وساعات الإغتنام والإكتساب للآخرة قليلةٌ جدّاً ولهذا ينبغي وكما قيل أن يكون لك في كل شيءٍ نيّة تتقرّب بها إلى الله عزّ وجلّ، في نومك، وعملك، وعبادتك، وساعات أكلك، وسهرك، وسمرك، واستراحتك، بل في كُلِّ شؤونك وحالاتك، وعليك أن تستفيد من الفراغ تثقيلاً لميزانك، بالعمل والمواظبة والمراقبة تعود عليك العوائد وتستفيد لنفسك الفوائد، وإلّا حقّ عليك أن تكون ملوماً ومغبوناً، فإتلاف العمر والإصرار على تضييعه وتفويته خسارةٌ لا تعوّض وسفهٌ بنظر العقلاء -أعاذنا الله وإيّاكن من السفه والخسران- والوقت كالسيف إن لم تقطعه بالاستفادة

منه قطعك بالمضي والتجاوز عنك، فاغتنم وقتك بالعمل، واختر لنفسك أفضل الأعمال وأنفعها. فلنجعل وقتاً للطاعة والعبادة والذِكر والمناجاة، فإنَّهُ مَن أقبل على الله عزّ وجلّ أقبل الله عليه، ولنعمل لدنيانا بما فيه صلاحنا ونجاحنا ومرضاة ربّنا، من درسٍ، وتحصيلٍ، وبناءٍ لحياةٍ شخصيّة، وتأسيس لعائلة وتربية للأبناء بما يعود بالفائدة علينا، وعلى محيطنا العائلي ومجتمعنا الأوسع.

نعم ينبغي ألا نجعل للفراغ وضياع الوقت والعمر سبيلاً إلينا، فإنَّ في ذلك بغضاً من الربّ وشدّةً في الحساب، قال رسول الله ﷺ: ((**إنّ الله يبغض الصحيح الفارغ، لا في شغل الدنيا ولا في شغل الآخرة**)). وينبغي أيضاً أن نعلم أنَّ الندم على ما فات لا يرجعه ولا يعوّض الخسارة، ومقولة: لو أنَّ الزمان يعود لفعلت كذا، وليت الشباب يعود يوماً لأجتهد في تحصيل الطاعة والثواب ليومٍ لا ينفع مالٌ ولا بنون لا إمكانيّة لترجمته وحصوله، ومن هذا المنطلق الأجدر بنا أن نعمل اليوم وأن نسعى لأن يكون يومنا أحسن حالاً من أمسنا، وأن يكون غدنا أحسن من يومنا، وأن نقيّم أحوالنا ونحاسب أنفسنا، وأن لا نركن إليها ونغفل عنها طرفة عين أبداً.

الحلقة الخامسة

الأخسرون أعمالاً

من هم الأخسرون أعمالا؟

يقول تعالى في كتابه الكريم: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ۝ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾[1]. إن الآية الشريفة صدّرت السؤال بـ﴿هَلْ نُنَبِّئُكُمْ﴾، حيث إنَّ النبأ لا يكون إلا للإخبار بما لا يعلمه المخبر، مع كون المخبر به أمراً عظيماً بليغاً، ويجوز أن يكون المخبر بما يعلمه وبما لا يعلمه، والآمر بالسؤال هو اللهُ تعالى، والمأمورُ هو النبيُّ المصطفى محمدﷺ. فما هي حقيقةُ الخسارة؟ ومَنْ هو الخاسِرُ؟ بل مَنْ هو أخسَرُ الناس؟

والجواب: مَن اعتاد على عالم الدُّنيا، ولم ينظر إلى ما وراء عالم المادّيات قد يظنُّ ولا يُفكِّر إلا بما يرتبط بالخسارة الدنيويّة، لكن هل هذه هي الخسارة الحقيقيَّة التي يتكفّل الجبّار بأنْ يخبرنا عنها؟! قطعاً الأمر ليس كذلك، وذلك لأنَّ خسائر الدنيا تتّصف بأنَّها محدودة قابلة للتعويض والزوال، وليتعظ الإنسان بما يراه من تجارب يومية، بل قد يعيش هو نفسه بعض هذه التجارب، فكم من مرّةٍ نخسر ونفقد كل ما لدينا، ثم نقوم من جديد.

وعليه، فما كان شأنه محدوداً وقابلاً للتعويض، ليس هو الخسارة

(١)

الحقيقية، بل قد تكون نتيجةُ هذه الخسارة الدنيويَّة نعمةً من نِعَمِ الله تعالى على الإنسان، فيما لو تلقّاها بصبر، قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿**وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ..**﴾[1]، ومع الصبر على هذه الإبتلاءات يأتي وعد الله وبشارته، فليست الإبتلاءات الدنيوية والخسائر التي تحصل فيها هي المقصودة من الآية الكريمة. فما هي هذه الخسائر المشار إليها إذن؟!

إن الأخسرونَ أعمالاً بحسب هذه الآية الشريفة هم الذين اتصفوا بصفتين: الصفة الأولى ﴿**الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ**﴾[2]: إنَّ ضلالَ السعيِ في الحياة الدنيا سببُهُ ضلالٌ وخللٌ كبيرٌ في العقيدة، ونفوذٌ من الشيطان إلى صلبِها، فلو لم تكن العقيدةُ فاسدةً ولم يعترِها خَلَلٌ، لَمَا ضلَّ سعيُهُم في الحياة الدنيا؛ لأنَّ العقيدةَ الفاسدةَ تجعلُ صاحبَها في ضلالٍ كبير.

والصفة الثانية ﴿**وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا**﴾[3]: فهم يحسبونَ أنَّهم يُحسنونَ صنعاً وما ظنُّوا حسنَ أعمالهم وأفعالهم المخالفةِ للشرع إلَّا لجهلهم بحقوق الله عز وجل وعظمته، ولضعف بصيرتهم، وهم أصناف:

(١) البقرة ١٥٥.
(٢) الكهف ١٠٤.
(٣) الكهف ١٠٤.

الأول: الكفار بالله، واليوم الآخر، والأنبياء، فإنَّ الله زيّن لكلّ أمة عملها، إنفاذاً لمشيئته، وحكماً بقضائه، وتصديقاً لكلامه.

الثاني: أهل التأويلِ الفاسدِ الذين أخبر الله عنهم، قال: ﴿**فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ**﴾[1].

والثالث: هم الذين أفسدوا أعمالهم بالرياء، وضيّعوا أحوالهم بالإعجاب.

كيف نتجنّب الخسران المبين؟

المهم في المقام أَنَّه حتى نتجنب الخسران المبين، علينا أن نعرف حقيقة الأعمال التي تؤدّي إليه، وحقيقة الأعمال التي تجنبنا الوقوع في الخسران والندم. ولمَّا أشارت الآية إلى لزوم ترك الشرك: كبيره وصغيره، كان علينا أن نعرف الإخلاص وكيفية تحقيقه؛ حتى نتمكن من تحصيله والعمل به والحفاظ عليه.

وينبغي أن نعلم أَنَّه لمَّا كانت طرق الباطل كثيرة ومتنوِّعة، وطريق الحقّ واحداً، وهو الطريق المستقيم الَّذِي جاء به سيّد المرسلين ﷺ، فحينئذٍ تكون الأبواب المشرّعة أمام الشيطان إلى قلب الإنسان كثيرة، ويدعم الشيطان في ذلك ميل النفس البشرية نحو الشهوات، وعسر

(١) آل عمران ٧.

انقيادها للحقّ، كل ذلك يضع العبد المسكين في موضع لا يحسد عليه.

والسبيل أمام الإنسان إلى النجاة هو الإخلاص، فإنّ الإخلاص الحقيقي هو تجريد القصد من الشوائب كلها، وهو ضد الرياء والشرك، فمن جاء بطاعة ليراه الناس فهو مراء مطلق، ومن جاء بها وانضم إلى قصد القربة، قصدُ غرضٍ دنيويٍ انضماماً تشريكياً، ففعله مشوب غير خالص.

ثمّ إن الإخلاص على مراتب، فأعلى مراتبه: الإخلاص المطلق، وهو إخلاص الصدّيقين وإرادة محض وجه الله سبحانه من العمل، دون توقّع غرض في الدارَين. وللإخلاص آفات منها الرياء والعُجُب، يقول تعالى: ﴿**فَاعْبُدِ اللهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ۞ أَلَا لِلهِ الدِّينُ الْخَالِصُ**﴾[1].

وهذا لا يكون إلا بتوفيق من الله تعالى، فبيده الأمر من قبل ومن بعد، ففي دعاء عرفة للإمام الحسين عليه السلام: ((**أَنْتَ الَّذِي أَشْرَقْتَ الْأَنْوَارَ فِي قُلُوبِ أَوْلِيَائِكَ حَتَّى عَرَفُوكَ وَوَحَّدُوكَ وَأَنْتَ الَّذِي أَزَلْتَ الْأَغْيَارَ عَنْ قُلُوبِ أَحِبَّائِكَ حَتَّى لَمْ يُحِبُّوا سِوَاكَ**)).

إذن في الختام نقول: إن الله تبارك وتعالى أعطى الناس قلباً قابلاً للترقيات إلى مراتب الكمالات التي لا تتناهى من المحبة والمعرفة والزهد

(١) آل عمران ٧.

والفناء والبقاء، وهم ضيّعوه بمحبة الدنيا، والرياء، والعجب، والكبر والبغض وأمثالها من الرذائل. والقلب أمير البدن، فلو راقبه وكان دائباً في إصلاحه وتحصيل كمالاته، أفاض الله تعالى عليه ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

ولو اشتغل العبد بإصلاح نفسه لكفى به شغلاً عن العالمين، ولكنّ الغالب الإشتغال بالدنيا الفانية، إمّا بالمال وإمّا بالجاه وقبول القلوب، ومتى حصل ذلك لا يحتاجون إلى الإصلاح، بل ينالون العواقب التي رتَّبها الله تعالى للأخسرينَ أعمالاً بقوله تعالى: ﴿**فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا**﴾[1].

فاجتهد لأن يكون سرّك داعياً وباطنك طالباً، حتى ينفتح لقلبك أبواب الملكوت، وينكشف لسرّك أسرار الجبروت، ويجري فلكُ عقلِك في بحار الخير والبركات؛ حتى تصل إلى ساحل النجاة، وتنجو من ورطة الهلكات، وتطير بجناحيك إلى عالم الأنوار.

(١) الكهف ١٠٥.

الحلقة السادسة

العدل الإلهي واختيار الإنسان

إن الله خيّركم بين فعل الخير والشر

إِنَّ مسألتي العدل الإلهي واختيار الإنسان يعتبران من أهمّ المسائل الإعتقادية، إذ تشكّلان واحدة من أهمّ دعائم عقيدة المسلم، بل من أهمّ ركائز الفكر الإسلامي بشكل عام، وتترتّب على هذه العقيدة آثارٌ مهمّة على المستوى المسلكي، والأخلاقي، والإجتماعي. ونظراً لأهمّيتها تعرّض القرآن لها في الكثير من المواضع بين تصريح وتلميح، وظهر ذلك بشكلٍ جليٍّ أيضاً في الأخبار الواردة عن النبي الأكرمﷺ وأهل بيته الطاهرينعليهم السلام.

وسنتناول في هذه الحلقة عدّة أمور لها ربط بمطلبي العدل الإلهي والإختيار، إنطلاقاً من الآية المباركة: ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ**﴾[1]. إن هذه الآية المباركة وقعت في سياق الكلام على محاربة الكفار والمشركين وتكذيبهم للنبيّﷺ وكفرهم بآيات الله؛ ليختم جلّ وعلا هذه الفقرة بقانون عام، وهو قانون الإختيار في أفعال البشر، وأنَّ الله قد بيّن لهم أحكامه عبر إرسال الأنبياء بالكتب السماوية، وبعد كونهم مختارين، فإنّ عملهم هو الذي سيحدّد مصيرهم من سعادة أو شقاء.

(١) فصلت ٤٦.

وأمّا إذا أتينا إلى نصّ الآية فنجدها مؤلّفة من جملتين شرطيتين: الشرطية الأولى وهي قوله تعالى: «مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ»، أي إِنَّ الإنسان أوّلاً هو الذي يعمل، فهو مُختار، فإنْ كان عمله صالحاً موافقاً لما يحبُّه المولى وما يأمر به، فسيخط مسيره إلى الجنة إن شاء الله.

والشرطية الثانية: وهي قوله تعالى: «وَمَنْ أَسَاء فَعَلَيْهَا»، أيْ إِنَّ الإنسان إذا لم يمتثل أمر مولاه فهو الذي سيتكبّد آثار وتبعات عمله، وبالتالي سيخطّ بذلك مسيره إلى جهنم.

وأمّا الجملة التي تلي الشرطيتين فهي قوله عزّ من قائل: «وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ»، وهي بمثابة تعليل للشرطيتين، وذلك لأنّ المولى جلّ وعلا عادلٌ يعطي كل ذي حقّ حقَّه، ولا يظلم أحداً، فلا يضيع عنده أجر المحسنين العاملين، ويكون عمل كل إنسان هو الذي يحدّد مصيره الأخروي من النعيم أو الجحيم، وعليه، فلنا القول: إِنَّ الآية دليل على نفي الجبر، إذ انه لا يعني إلا أنّ الله قد أجبر الناس على ارتكاب الذنوب ومع ذلك عاقبهم، وهذا معناه أَنَّه ظالمٌ لعبيده، والحال أَنَّ هذه الجملة الأخيرة تنفي ذلك، وتردّ على تلك العقيدة الفاسدة، وتكذّبها.

فالله تعالى بحسب الآية قد أعطى القدرة للبشر ليختاروا بين الخير والشرّ، فإن خالفوا واختاروا الشرّ عاقبهم، وإن أطاعوا واختاروا الخير

أثابهم، فهو لا ينبغيرهم على ارتكاب القبائح والذنوب ثمّ يعاقبهم عليها. ورد عن الإمام الرضاعليه السلام عندما سُئِل من قِبَل أحد أصحابه: ((هل ينبغير الله عباده على الذنب؟ فأجابهعليه السلام: **لا، بل يخيّرهم ويمهلهم ليتوبوا**، فسأله كذلك: فهل يكلّفهم ما لا يطيقونه؟ فأجابهعليه السلام: كيف يفعل ذلك، وهو يقول: ﴿**وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ**﴾[1])).

وبالإستفادة من هذه الرواية نكون قد أجبنا على السؤال الذي قد يُطرح حول السبب الكامن في تعبيره جلّ وعلا: «بِظَلَّامٍ»، إذ لو لم يعطِ الله عباده القدرة والإختيار، ومع ذلك يعاقبهم على المعصية، لكان ظلّاماً تعالى عن ذلك علوّاً كبيراً.

ومن الواضح أنّه مع الإعتقاد بكون الإنسان غير مختار، فلا معنى للتكليف والبعث والزجر وعليه، فالإنسان عندما يكون معتقداً بأنّه مجبرٌ على أفعاله غير قادر على تحديد مصيره فمهما وصل إليه أمرٌ أو زجرٌ من مولاه، فإنّ ذلك لن يحرّكه أبداً، لأنّه يقول مصيري محدّدٌ ونتيجتي محسومة مهما فعَلت، وأنا مجرّد أداة لتنفيذ الخطّة المعدّة مسبقاً لي، فلِمَ أُتعب نفسي وأشقّ عليها فهذا لا تأثير له؟ وأمّا لو كان الإنسان سوياً في اعتقاده متّبعاً لحكم عقله القطعي بأنّه مختار، وبأنّ الله عادلٌ لا

(١) فصلت ٤٦.

يفعل الظلم، فإنّه لا محالة سيتحرّك وينبعث وينزجر تبعاً لأوامر المولى ونواهيه، بل سيكون لديه حافزٌ أكبر للطاعة، كلّما ازداد معرفةً بعدالة ربّه واستشعر رقابة خالقه أكثر اقترب من الطاعة أكثر، وابتعد عن المعصية أكثر، وقد أشارت الرواية المتقدّمة الواردة عن أمير المؤمنين عليه السلام إلى ذلك في قوله: ((**إِنَّهُ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَبَطَلَ الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ وَالْأَمْرُ وَالنَّهْيُ وَالزَّجْرُ مِنَ اللهِ**)).

آثار عقيدة الإختيار على المستوى الأخلاقي

إن الأخلاق عبارة عن مجموعة من الصفات الحسنة أو السيئة، أو فقل السجايا الذاتية للإنسان. وعلم الأخلاق هو العلم المبحوث فيه عن أسس إكتساب الصفات الحسنة، وطرق محاربة الصفات السيئة. وهذا العلم مبتنٍ على ركيزة أساسية، وهي إمكانية تغيير الصفات السيئة الموجودة في الإنسان أو تنمية الصفات الحسنة، فلو لم تكن قابلة للتغيير والتطوير لأصبحت كل تعاليم الأنبياء بلا فائدة. والقول بإمكانية تغيير أخلاق الإنسان أو تطويرها مساوق للقول بأنّه مختارٌ؛ فالمجبور لا يستحقّ مدحاً ولا ذمّاً من جهة، ويتذرّع دائماً بأنّه لا يستطيع تغيير نفسه وسجاياه، لأنّه غير مختار. فإذاً لو لم نعتقد بالإختيار لبطلت

المنظومة الأخلاقية من أساسها، ولما كان ثمّة معنى لما ورد عن خير الخلق أجمعينﷺ: ((إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ))، ولما كان معنى للروايات الكثيرة الحاثة على مجاهدة النفس وتحسين الخلق.

الحلقة السابعة

معاتبة الله سبحانه لنا كوننا عباده

لمَ تقولون ما لا تفعلون؟

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾[1].

إِنَّ كل مَن يتأمّل في هذه الآية وما تلاها تأمّل وعي وبصيرة، يلتفتُ إلى أَنَّها ترمي إلى تحقيق غرَضين:

الترغيب في الجهاد في سبيل الله، ومقاتلة أعدائه وأعداء دينه، وتبيان جانباً سلبياً في حياة المؤمنين، وهو: أَنَّ عليهم أنْ لا يقولوا ما لا يفعلون، ولا يُخلِفوا فيما يعِدون، فإنّ هذا يستوجب مقتاً من الله وغضباً شديداً، وبالتالي قد ينجرّ الأمر إلى الطرد من رحمته الواسعة.

إنَّ الآية المباركة يستفاد منها أَنَّها بصدد التوبيخ على أيّ تخلُّفٍ في الفعل عن القول، الأمر الَّذِي يعني ضرورة أنْ يكون قولُ المؤمن توأمَ عمله، فيبقى ثابتاً في مواقفه، لا يتزلزل أو يحيد عمّا قاله والتزم به، ولا يُخلف وعده، أو ينقض بعهده، أو يتثاقل عن الخروج إلى ساحات الوغى نصرةً لدينه وإعزازاً لشريعته، وما إلى ذلك من أشباه هذه الإلتزامات.

فكم وكم مراراً ضربنا على صدورنا، وأخذنا على عاتقنا في مجالس

(١) الصف (٢-٤).

السّهر والسّمر، ولّبّينا بالقول: لبَّيْك لبَّيْك، ولكن ما إنْ تحِنْ ساعةُ الجدّ حتى ترى كُعُوبَنا تضربُ برؤوسنا لسرعة الفرار من الواجب.

وما أبْعَدَ ما بين هؤلاء وبين سبعةٍ من فقراء الأنصار جاؤوا إلى الرسولﷺ وطلبوا منه أنْ يزوّدهم بما يمكّنهم من الإشتراك في الجهاد، فاعتذر منهم النبيّﷺ بعدم وجدانه ما يطلبون، فتوَلَّوا وأعينهم تفيضُ من الدمع، فعُرفوا بالبكّائين، ونزل فيهم قوله تعالى: ﴿**وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ**﴾[1].

ونلاحظ في الآية أَنَّ التأكيد ليس على القتال بما هو قتال، وكيف اتّفق، بل على قتالٍ من نوعٍ خاص تتجلّى فيه مظاهر الوحدة والإنسجام التّام، كالبنيان المرصوص في مواجهة الأعداء القتال الَّذِي يعكس وحدة القلوب والأرواح، ويعكس العزائم الحديدية الراسخة في مشهدٍ متراصٍّ ليس فيه تصدّع أو خلل.

وما دام أَنَّ العدو يزحف كالسيل العارم المدمّر والهادر، فإنّه لا نجاة لنا من تبعاته إِلَّا بأنْ نشكّل سدّاً محكماً في وجهه، وأنْ لا نتساهل مع كل جزءٍ من هذا السدّ، فإنّ أيّ ثغرةٍ يُحدثها العدوّ في هذا السدّ

(١) التوبة ٩٢.

سوف يكون لها آثارٌ خطيرةٌ ووخيمة.

أجل، هكذا ينبغي أنْ يكون القرآن حاضراً بيننا، نبثّه وَجَعَنا وشكوانا، فيغدق علينا تِرياق الحياة الشامخة والعزيزة. ولو فتحنا مغاليق هذه الآية لوجدنا أَنَّها ركّزت على مسألة مهمّة وهي: لابدّية أنْ يكون الجسم الجهادي بكافّة أقسامه ومتفرّعاته بمنزلة بنيان محكم، يشدّ بعضُه أزر بعض، فاليد اليسرى عونُ اليد اليمنى، وإحدى العينين تُرْفِدُ الأخرى، والحركة الجهادية متوزّعة بين القدمين ومتّكئةٌ عليهما، والقاعدة الشعبية مرتبطةٌ إرتباطاً عضوياً مع أُولي الأمر والنهي الَّذِين يمثّلون الرأس من الجسد.

وتعرّضت هذه الآية المباركة كذلك لذكر واحدةٍ من الصِّفات المذمومة التي ينبغي للمؤمن تجنُّبها والتنزّه عنها، وهي: أنْ لا يقف المؤمن عند قوله، فكأنّ الكلام لا يزال في وثاق المؤمن ما دام لم يخرج من فيه، فإذا خرج صار رهين كلامه وأسير أقواله، على حد ما يُروى عن أمير المؤمنين عليه السلام: ((**الكلام في وثاقك ما لم تتكلم به، فإذا تكلمت به صرت في وثاقه**)).

وتكفّلت هذه الآية ﴿**لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ**﴾[1] توبيخاً مغلّظاً

(١) الصف ٢.

واستنكاراً عالي اللهجة للمؤمنين، والسبب في ذلك إشتمال بعضهم على أخلاق وصفات، بطبيعتها تُبعِد المرءَ عن الله تعالى، وهي قولهم ما لا يفعلون.

وهذه أَخلاق لا تتلاءم مع المؤمن الَّذي يعيش دوماً في محضر الله، فإنَّ العالَمَ كلَّه في محضر الله، والذي يفترض به أن لا يكون غافلاً عنه تعالى، وأنْ يكون شاعراً بمعيّته له، وأنّه تعالى معه في كل حركاته وسكناته وأفعاله وأقواله.

أليس من أَحبّ شخصاً كان دائم التفكير فيه؟! ألا يسعى دوماً لجعل أفعاله مطابقةً لما يقرّبه من محبوبه؟! هل يحسن أن يتكلّم بكلام يجعل المحبوب يُعرضُ عنه ويَجْرَدُ عليه؟!

أبداً.. هذا بعيدٌ من ساحة العشق، إذاً فما بالُ بعضنا يلتزم على نفسه أمامَ الله وأمامَ الناس، ثمّ لا يلبث أنْ يتراجع عمّا قال، هل يبغي من عمله هذا معاداة الله؟!

إذن إنَّ من السّمات الأساسية للمؤمن الصادق هو الانسجام التّام بين أقواله وأفعاله، وكلّما ابتعد الإنسان عن هذا الأصل كان أبعدَ من حقيقة الإيمان.

ومن الغريب حقّاً والملفت للنظر طريقة مخاطبة الله تعالى الشريحةَ

الواسعةَ مِمَّن آمن به واعترف بألوهيته وأقرَّ بعبوديته. فإنّ الحقّ تعالى اسمه قد صدّر بها يربط ويجمع بين الله والمؤمنين، وبها يُمَتِّن العلاقة بينهما، فخاطبهم بقوله: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ»، مقدّماً في خطابه محاسن العباد، وحسناتِ أفعالهم، ومعترفاً بالقَدْر الَّذِي أَتَوا به اتّجاه خالقهم ومربِّيهم من الإيمانِ به عزّ اسمه.

إِنَّ القرآن الكريم لمّا كان كتابَ هداية وتربية، يعمل على تغذية الروح وتربيتها كما يعمل على تغذية الفكر والعقل، هَدَفَ من خلال هذا التوبيخ المغلّظ أنْ يقول لهؤلاء المؤمنين: يا أيُّها الَّذِين يُفترض أَنَّكم آمنتم بي!

إلهي، خصّني برحمةٍ من عندك جامعةٍ مانعةٍ، أبلغ بها خيرَ الدّنيا والآخرة، فمن أين لي النجاة يا ربّ ولا تُستطاع إِلَّا بك.

الحلقة الثامنة

الرفق واللين

رفيقٌ يحبّ الرفق

خاطب الله سبحانه نبيّه الكريمﷺ قائلاً: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾[1].

الخُرُق والعنف ظاهرتان سلبيتان في طبيعة الإنسان ويُقابلهما ملكة اللين والرفق، وأصل الرفق في اللغة: النفع، والذي يعنينا من الرفق هنا، هو ما يحمل لنا معاني اللين واللطف والسهولة واليسر؛ لما لها من دور مهم في حياة المؤمن الرسالي، وما يؤدّيه من مهام وأدوار في حركته الرسالية الواعية بين أفراد وشرائع المجتمع بكلّ أطيافه، وما لها من تأثير جميل يدل على حسن وجمال المتلبّس به، واستقامة ذاته واعتدال تصرّفاته، إذ إنَّ الرفق ليس مستهدفاً للغير في مهمته وتأثيراته فحسب، بل هو يبدأ من الذات ليشمل غيرها من الأفراد والمجتمعات، ويوصل إليها رسالة التكافل الإجتماعي بأبهى صورة.

وقد أكّد الإسلام العزيز على هذه السجية الفاضلة والخصلة النبيلة داعياً أتباعه ومحبّيه إلى التحلّي بها وتجسيدها في أرض الواقع العملي، لتؤدّي إلى الأهداف المطلوبة، والذي صنعه الإسلام على صعيد العنصر

(١) آل عمران ١٥٩.

الأخلاقي بجميع أركانه ومظاهره، كالصدق والأمانة والبرّ والإحسان والرفق والعفو والرحمة والحبّ والسلام وغير ذلك.. إنّما هو على نحو التقدير والتنظيم والإحياء، لا على نحو الفرض المتعالي على الطبيعة البشرية.

واللّين في المعاملة هو الرفق، ففي آية الموعظة يكون المعنى:أنَّ لينك -يا رسول الله ﷺ- لهم هو سببٌ يوجب دخولهم في الدين؛ لأنّك تأتيهم مع سماحة أخلاقك وكرم سجيتك بالحجج والبراهين، فلو لا هذا الرفق الذي اعتمده رسول الله ﷺ مع مَنْ أرسل إليهم لما تمكّن من استقطاب الناس حول رسالته، إذ أنّ الفظاضة والغلظة المناقضة للرفق واللين إذا ما اعتُمدت خياراً منهجياً في التبليغ والدعوة إلى الحق فإنَّ مردودها سيكون عكسياً، فالناس بحاجة إلى كنف رحيم، ورعاية فائقة، وبشاشة سمحة، وإلى ودٍّ يسعهم، وحلم لا يضيق بجهلهم وضعفهم ونقصهم، وهم بحاجة إلى قلبٍ كبيرٍ يعطيهم ولا يحتاج منهم إلى عطاء، ويحمل همومهم ولا يعنّيهم بهمّه، ويجدون عنده دائماً الإهتمام والرعاية والعطف والسماحة والودّ والرضا.

وتعميقاً لروح الرفق واللين التي يريدها الله تعالى في الدعوة إلى الحق، جاء التأكيد في تلك الآية المباركة نفسها على ما يجسّد حالة

الرفق واللين العملي بين يديّ المؤمنين، في جملة مكارم الأخلاق التي اهتمّ الإسلام بتحقيقها على النحو الأكمل وإشاعتها بين الناس، فهي تأمر بالعفو لمن يُسيء والغفران لمن يُخطئ، ليتجلّى الرفق ويتمظهر اللين في حركة التغيير والإصلاح على منهجية المبلغ الرسالي ﴿**فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ**﴾[1].

إن الله تعالى رفيق يحب الرفق، فعن مولانا الباقر عليه السلام: ((**إِنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ**))، وفي هذا الحديث دلالةٌ على أن ملاك حسن الأخلاق وفضائل الملكات وجود مثلها أو ما يناسبها في صفات الله تعالى، مثلاً الله كريمٌ يحبّ الكرم، فالكرم من الملكات الفاضلة، وحليمٌ يحبّ الحلم، والجود حسنٌ لأنّ الله جواد، والسخاء حسنة وهكذا.. وهذا معنى ما قيل: «تخلّقوا بأخلاق الله تعالى». وبالجملة الله هو الموجود الكامل الجامع لجميع الكمالات المنزّه من جميع النقائص، وتحصيل كل كمال تشبّه بالخالق تعالى.

وقد استوزر الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله العلم للإيمان، والحلم للعلم، والرفق للحلم، والصبر للرفق، وبهذه المنظومة المباركة بيّن لنا التماسك الحيوي بين الإيمان والعلم والأخلاق، فمَن أراد الإيمان فعليه بالعلم،

(١) آل عمران ١٥٩.

ومن أراد العلم الذي يفضي إلى الإيمان، فعليه أن يتزيّن بالحلم الذي يجعل من العلم علماً هادفاً، لا العلم الذي يرافقه الغرور والعُجُب والتكبّر، ومن أراد إيماناً يستند إلى العلم النافع، والمستوزر بالحلم فما عليه إلا التخلّق بالرفق الكاشف عن واقعية الحلم وحقيقته.

واعلمن أنّ الله تعالى ليجازي عباده على مكارم الأخلاق في الدنيا فيريهم ثمراتها، كما يدّخر لهم ليوم لقائه ما هو أنمى وأبقى، وكما سترفق سيُرفق بك.

فلمّا كان الله تعالى رفيقٌ ويحبّ الرفق، فلا شكّ أنّه سبحانه سيقابل رفق الإنسان بأخيه الإنسان، ورفق الإنسان بالحيوان، بالرفق واللطف والسماحة والتجاوز فيما يخصّ تعامل الخالق مع مخلوقه في الدنيا أو ما يعود لمحاسبته في الأخرى. قال تعالى: ﴿**هَلْ جَزَاء الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ**﴾[1]. اللهم أعنّا على أن نرفق بأنفسنا وبمن حولنا، ولا تحرمنا رفقك ولطفك يا أرحم الراحمين.

(١) الرحمن ٦٠.

الحلقة التاسعة

القرض الحسن وآثاره الإجتماعية

ما هو القرض الحسن؟

قال الله تعالى: ﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[1]. يحُيط القرآن بكلّ ما يحتاج إليه الإنسان في حياته، ويُهيّء له سُبل الوصول إلى أهدافه مهما تعدّدت تلك الأهداف، ومهما كثرت الصّعاب الّتي تُعيق حركة الإنسان في طريقه.

فالقرآن الكريم دستورُ حياةٍ حقيقيّة، تَراه يُرصِّع لنا مفاهيم مهمّة جداً لاستقامة حياة الإنسان، ومن هذه المفاهيم مفهوم «القرض الحسن». فلنحاول معاً أن نَغْرف من ينبوع المعرفة، فنرى ما هو معنى القرض؟ ولماذا رَبط الله القرض بذاته المقدّسة؟ وما هو القرض الحسن؟

القرض في اللّغة ما يَتَجازَى به الناسُ فيما بينهم ويَتَقاضونه، فالقرض فعل الخيرِ، يؤدّيه الإنسان مع أخيه، وهو من البلاء الحسن.

وقد قُسّم القرض إلى قسمين:-

١-قرض حاجة: وهذا لا يُتصوَّر في حقّ الله تعالى، فهو الغنيّ المطلق غير المحتاج لأحدٍ، والكلّ محتاج إليه.

٢-وقرض ربحٍ: أي أنّ هذا المال المستَقرَض يرجع إلى المقرِض

(١) البقرة ٢٤٥.

مع الرّبح الحلال، وهذا متصوّر في حقّه تعالى، وهو محور فكرة القرض الحسن، فيصرف المقرِض المالَ في المنافع العامّة، ومن ثمّ يعود النّفع إلى صاحبه، بشرط خضوعه للموازين الشّرعيّة، والمعنى المراد في المقام هو: جميع ما يقدّمه الإنسان من أفعال خيّرة، ترجع منفعتها إلى النّفس أو المجتمع، وإنّما ارتبط القرض بالله تعالى في هذه الآيات الكريمة للحثّ والتّشجيع والتّرغيب على البذل والإنفاق في سبيل النّفس الإنسانيّة والمجتمع.

ولمَّا كانت رغبة الإنسان في الإنفاق ضعيفة بشكل عامّ، حثّ الله تعالى الإنسان على الإنفاق، ورَبَط القرض بذاته المقدّسة كتشجيع على فعل الخير، والبذل والعطاء لوجهه عزّ وجلّ. فالمؤمن عندما يقرض الله تعالى، هو في حقيقة الأمر يقدّم لنفسه الخير والأجر الجزيل الّذي يفوق كل أجرٍ آخر، فيعتبر القرض كالصّدقة من جهة رجوع الصّدقة إلى صاحبها مضاعفة، كذلك القرض يرجع إلى صاحبه أضعافاً كثيرة، وهو في بعض الرّوايات يتخطّى الصدقة بثمانية أضعاف، فالصدقة بعشرة، والقرض بثمانية عشر!

والقرض الحسن هو كل قرض كان مُخلَصاً لله تعالى، أي خالٍ عن الشوائب من الشرك، والرياء، والسّمعة، ومن المنِّ والأذى، وفيه الخير

والمنفعة العامّة العائدة على الصّالح العامّ، فهو من القرض الحسن.

نعم، وفي بعض الأحيان قد يكون من باب التّشجيع للآخرين؛ كي يقدّموا ويَبذلوا قروضاً حسنة، فهذا شيءٌ ممدوحٌ ومطلوب، ولكن لابدّ من الإحتياط والإلتفات إلى خدع الشّيطان الّتي تَقتنص كل فرصة لتسقطنا في حفر المعاصي والذّنوب، فنكون من الّذين يظنّون أنّهم يحسنون صنعاً، وما لهم في الآخرة من نصيب.

جزاء القرض الحسن

وإنّ الله تعالى قد طلب منّا في أوّل هذه الآية الكريمة طلباً، فقال عزّ من قائل: ﴿**مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا**﴾[1]، ثمّ جاء الجواب من قِبَلِهِ سبحانه وتعالى: ﴿**فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً**﴾[2]، وهنا أشار بعض أهل اللّغة إلى الفرق بين الضّعف والذي هو أداء المثل وزيادة، وبين قوله تعالى «أضعاف»، فإنّ فيه تأكيداً على معنى الزيادة أكثر من كلمة «يضعّف»؛ لأنّ معنى ضعّفت، أي: ضعفت مرّتين، بينما ضاعفت، يعني جعلته مرّتين فصاعداً.

إذن إن جزاء القرض الحسن أضعافاً كثيرة، وهذا الجزاء قد يختلف

(١) البقرة ٢٤٥.

(٢) البقرة ٢٤٥.

باختلاف مراتب الإخلاص في إعطاء القروض الحسنة، فتراة يكون بعشرة كما في قوله تعالى: ﴿مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾[1]، وتارة أخرى يكون بسبعمائة، كما في قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ﴾[2].

هذا هو بعض جزاء من يقرض الله قرضاً حسناً، فالله يُعطي كل من يُنفق في سبيله الكثير الكثير، كمثل حبّة أنبَتت سبعَ سنابل، وكلّ سنبلة تُعطي مائة حبّة، وبعد ذلك يضاعف الله تعالى لمن يشاء من عباده أضعافًا كثيرة!

فيا أيّها المؤمن أقرض الله قرضاً حسناً يُضاعفه لك أضعافًا كثيرة جداً، ولا تغفل عن أنّ الله سبحانه هو المعطي الحقيقيّ، وهو المانع الحقيقيّ أيضاً، فإذا أراد أن يُضَيِّق علينا منع عنّا الهواء الّذي نتنفّسه.

(١) البقرة ٢٤٥.

(٢) البقرة ٢٦١.

الحلقة العاشرة

اصالة فطرة الإنسان

في الفطرة صفاء وإستقامة

قال الله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى ۞ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى ۞ إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى﴾[1].

إن العادات، والتقاليد، والمذاهب، والمدارس، والتعليم، والأفكار، والآراء المتلاطمة، والمتعارضة، والبيئة والمجتمع، والبلاد، والأهواء، والوراثة.. كل هذه الأمور والمفردات والعناصر تشكّل مجموعة من العوامل التي تتسلّل تدريجياً إلى نفس الإنسان، فتؤثّر فيها، ويبلغ تأثيرها في نفسه حدّاً بالغاً، إلى درجة أنّها تكوّن طبعاً ثانويّاً يستطيع في كثيرٍ من الأحيان أن يغلب على شخصيّته الحقيقيّة، وعلى طبعه الأوّليّ الكامن في ذاته في أصل الخلقة والتكوين، والمسمّى هذا الطبع الأوّليّ «فطرة».

فالشخصيّة النهائيّة التي يستقر عليها الإنسان لا تكون وليدة فطرته فحسب، إنّما هي نتاج الفطرة منضمّاً إليها مجموعة تلك العوامل، وتبقى الأصالة للفطرة وللطبع الأوّلي هو الذي يمكن البناء والتأسيس عليه، وهو المرجع الذي إليه تؤول النفس عندما تحتدم لديها التناقضات الطارئة، التي تقذف بها إلى أتون الحيرة والشكّ والإضطراب والتوتّر

(١) العلق (٦-٨).

والإنزعاج والضيق النفسيّ، فإذا ما عادت النفس إلى صفاء فطرتها، ورثت يقيناً وعاد إليها توازنها وهدوؤها وسكينتها واطمئنانها. فالفطرة وأحكامها هي الثابت الوحيد في شخصيّة الإنسان، بالرغم من أنّه يعيش في هذا العالم المليء بالمتغيّرات والتناقضات.

إن الفطرة هي العنصر المتين الذي لا يمكن اختراقه، والحصن الذي لا يمكن النفوذ إليه وتخريبه من الداخل، والقطار الذي يسير نحو وجهته الحتميّة دون أن يتمكّن شيء من تعطيله، والفطرة هي الضمانة الدائمة لعودة الإنسان إلى رشده وصوابه كلّما حاد عن سواء السبيل. والفطرة وإن لم يكن بالإمكان تبديلها وتغييرها، لكنّ الإنسان قد يحيد عنها، قد يتجاهل أحكامها ومقتضياتها، إنطلاقاً من أنّها ترتّب عليه مسؤوليّات لا تتلاءم وشهواته التي تبعث فيه رغبةً عارمةً في التفلّت من كل القيود. وهنا تحديداً تبرز واحدة من أخطر نقاط الضعف الإنسانيّ، والتي تتمثّل في سرعة وسهولة إستسلام الإنسان لأوهامه، تلك الأوهام التي تؤجّجها وسوسات الشيطان وتلبيساته، وتسويلات نفسه الأمّارة بالسوء، والتي تجد مرعىً خصيباً لها لدى كل إنسان استسلم لهواه، وغفل عن ربّه ومولاه، وغيّب عقله، وعطّله، وأغمض عيون بصيرته، لصالح دنيا فانية زائلة مليئةٍ بالمنغّصات والمكدّرات.

الطغيان والتكبر

وتتحدّث الآيات عن واحدةٍ من نقاط الضعف الإنسانيّ، وهي تفيد أنّ النوع الإنسانيّ عموماً يطغى، فيتكبّر ويعصي ويذهب بعيداً متجاوزاً الحدود التي لا ينبغي له أن يتجاوزها كإنسانٍ، وعندما تشتعل جذوة التكبّر الخبيثة في نفسه يبدأ تدريجاً بتخطّي تلك الحدود التي تبقيه إنساناً -للأسف- ويخترقها واحداً تلو الآخر، حتّى لا يبقى حدٌّ يحجزه عن إرتكاب ما لا ينبغي له إرتكابه من الحرمات والقبائح. وهكذا هي عادة الشيطان الرجيم في إستنزاف طاقة الإنسان وكرامته، وفي إستدراجه خطوةً بعد خطوة نحو مزالق المهالك.

إن كفر إبليس اللّعين بربّه، وإخراجه من الجنّة، وطرده عن الرحمة الإلهيّة، واستحقاقه اللّعنة، والخلود في العذاب الأليم لم يكن إلا بتكبّره وعناده وإعجابه بنفسه. وليس هذا فحسب، بل هل كَفَر من كَفَر وطَغَى من طَغَى إلّا بتكبّرهم على الله تعالى وإعجابهم بما هم عليه من نعمة وصحّة؟!

إنّ التكبّر والإستعلاء والطغيان كان هو المرض الخطير الحاضر بقوّةٍ في كل مواجهةٍ بين أهل الحقّ والباطل، وكان هو أكبر وأخطر تهديدٍ يواجهه الأنبياء والرسل في مسيرة إبلاغ رسالات الله، وقيادتها

الإنسانيّة نحو برّ أمانها، كما نلاحظ هذا التأكيد في قصّة موسى عليه السلام مع فرعون، والذي تصفه آيات عديدة بأنّه «طغى»، أو بأنّه «علا في الأرض»، قال تعالى: ﴿**اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى**﴾[1].

إن هذا المرض الإجتماعي، وهذه الخصلة الذميمة التي تفسد المجتمع الإنسانيّ عامّةً وتورث الحرمان الإلهيّ، وتجلب الشقاء النفسيّ، له أسباب عديدة، لكنّ أسبابه في الجملة ترجع إلى شعور المتكبّر المغرور بالإستعلاء الـذاتيّ على أقرانه، والرغبة في الإمتياز على الآخرين، فالإنسان يطغى ويكفر بأنعم الله عليه، إذا رأى نفسه مستغنياً، أي إذا عدّ نفسه غنيّاً حائزاً على كل مقوّمات الغنى والقوّة وأدواتهما، من مالٍ وعلمٍ وقوّةٍ وخبرةٍ وأعوانٍ وأولاد. وعندما يرى نفسه كذلك، عندما يسمح لهذه الرؤية أن تسيطر على تفكيره، فهذا يعني أنّه غلّب الوهم على العقل، وسمح لهواه أن يسيطر على رشده وصوابه، وعندما يعيش هذه الحالة، يقوده وهمه هذا إلى الخروج عن اعتداله، وعن طبيعته الأوّليّة كإنسان، وعن فطرته التي فطره الله عليها، فيغشى على بصيرته، وتعمى عليه الحقائق، وينسى أنّه فقير في حقيقة ذاته، لا يبارح الإفتقار والإحتياج في حالٍ من أحواله.

(١) طه ٢٤.

الحلقة الحادية عشرة

أمل الإنسان

الإيمان بحتمية ظهور الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف

قال الإمام الباقر عليه السلام: ((**والله ما تركَ اللهُ أرضاً منذ قبض آدم عليه السلام إلا وفيها إمام يهتدى بهِ إلى الله، وهو حجّته على عباده، ولا تبقى الأرضُ بغيرِ إمام حجّة لله على عباده**)).

إنّ ظهور الإيمان بفكرة حتمية ظهور المنقذ العالمي في الفكر الإنساني عموماً، يكشف عن وجود أسس متينة قوية تستند إليها تنطلق من الفطرة الإنسانية.

ويعتبر الإيمان بحتمية ظهور المُصلح الديني العالمي، وإقامة الدولة الإلهية العادلة في كل الأرض، من نقاط الإشتراك البارزة بين جميع الأديان، والإختلاف فيما بينها إنّما هو في تحديد هوية هذا المصلح الديني العالمي الذي يحقّق جميع أهداف الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم.

ويعتقد المسلمون بأن القضية المهدوية والإمام المهدي عجل الله فرَجه ضرورة من ضروريات الإسلام على مستوى كون إمامته إمتداداً لنبوّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقيادة البشرية، وعالمية دولته، وكونه الإمام المفروض الطاعة، وإن ما يعزّز عقيدة المسلمين بالمهدي عجل الله فرَجه مجموعة الأخبار التي أكّدت أن الأرض لا تخلو من حجة لله على

الأرض. رُوي عن رسول الله ﷺ: ((**إن علياً إمام أمتي من بعدي، ومن وُلده القائم المنتظر الذي إذا ظهر يملأ الأرض عدلاً وقسطاً**)).

من أهم تكاليفنا الشرعية في عصر الغيبة

بالإضافة للواجبات الإسلامية العامة التي تقع على المكلّفين من المسلمين في جميع العصور والأزمنة، كواجب الدعوة الإسلامية والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومحاربة الفساد وغير ذلك من الواجبات الشرعية، هناك واجبات وآداب عديدة تختصّ بعصر الغيبة لابد من مراعاتها في علاقتنا بالإمام الحجة عجل الله فرجه الشريف، ومنها معرفة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف.

ويستفاد من الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام أنّ لمعرفة الإمام أهمية عظيمة وأنها أساس لمعرفة الله، وأنّ طريق الهداية للحق والثبات على الصراط المستقيم لا يتم إلا بمعرفة الإمام المعصوم واقتفاء أثره، والسير على خطاه والإستضاءة بنوره والثبات على ولايته.

وما دام لمعرفة الإمام كل هذه الأهمية الكبرى، فليس المراد منها هو معرفة اسمه ونسبه فقط، بل يتحتّم أن يكون المقصود بالمعرفة شيئاً آخر أكبر، وهذا ما يجيب عنه الإمام الصادق عليه السلام حيث يقول: ((.. **وأدنى معرفة الإمام أنّه عدل النبي إلا درجة النبوة ووارثه، وأنّ طاعته طاعة**

الله وطاعة رسول الله ﷺ، والتسليم له في كل أمر والرد إليه والأخذ بقوله، ويعلم أنّ الإمام بعد رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب، ثم الحسن ثم الحسين، ثم علي بن الحسين، ثم محمد بن علي، ثم أنا، ثم من بعدي موسى ابني، ثم من بعده ولده علي، وبعد علي محمد ابنه، وبعد محمد علي ابنه، وبعد علي الحسن ابنه، والحجة من ولد الحسن عليهم السلام)).

ومن أهم تكاليفنا الشرعية في عصر الغيبة أيضاً هو الثبات على موالاة أهل البيت عليهم السلام، والثبات على العقيدة الصحيحة بإمامة الأئمة الاثني عشر عليهم السلام وخصوصاً خاتمهم وقائمهم المهدي محمد بن الحسن عليه السلام.

كما يتوجّب علينا عدم التأثّر بموجات التشكيك، وتأثيرات المنحرفين مهما طال زمان الغيبة أو كثرت ضروب المشكّكين، وأيضاً من جملة مصاديق الثبات على الولاية ذكر فضائل الإمام المهدي عجل الله فرجه وإشاعتها بين الناس والبراءة من أعدائه. ولقد جاء في الروايات الحث على تجديد العهد والبيعة مع الإمام المهدي عجل الله فرجه في كل يوم كما جاء في دعاء العهد الوارد عن الإمام الصادق عليه السلام: **((اللهم إنّي أُجدّد له في صبيحة يومي هذا، وما عشت من أيامي عهداً وعقداً وبيعةً له في عنقي، لا أحول عنها ولا أزول أبداً...))**.

أيضاً الصبر على المحن والبلاء، حيث انّ عصر الغيبة الكبرى يتميّز بتعاظم الجور والظلم والفساد بشكل ملحوظ، لذلك جاء الكثير من الأحاديث التي تؤكّد على مبدأ الصبر وتحث عليه، وخصوصاً في زمن الغيبة وتتحدّث عن عظم أجر.

كذلك الدعاء للإمام المهدي عجل الله فرجه والدعاء بتعجيل الفرج، فالدعاء له عجل الله فرجه بتعجيل فرجه، ومن ذلك الدعاء المعروف «اللهم كن لوليك الحجة ابن الحسن...»، وهناك أدعية كثيرة للإمام، فنحن مأمورون بالدعاء للإمام كما جاء ذلك في كثير من الروايات عن أهل البيت عليهم السلام، ولعل ذلك من أجل بقاء الصلة والرابطة مع الإمام، ولعل لذلك أيضاً آثاراً أخرى نحن لا نعلمها.

أيضاً علينا إظهار محبّته عليه السلام: وتحبيبه إلى الناس، وإظهار الشوق إلى لقائه عليه السلام ورؤيته، والبكاء والإبكاء والتباكي والحزن على فراقه، والتصدّق عنه عليه السلام بقصد سلامته، وإهداء ثواب الأعمال العبادية المستحبّة له عليه السلام كالحجّ والطواف عنه، والصوم والصلاة، وزيارة مشاهد المعصومين صلى الله عليه وآله، أو بذل المال لنائب ينوب عنه في أداء تلك الأعمال.

وأيضاً الصلاة على الإمام عجل الله فرجه والسلام عليه؛ فقد جاء في دعاء العهد: ((**اَللّهُمَّ بَلِّغْ مَوْلانَا الإمام الْهادِيَ الْمَهْدِيَّ الْقائِمَ بأمرك صَلَواتُ**

الله عَلَيْهِ وعَلى آبائِهِ الطّاهِرينَ عَنْ جَميعِ المُؤْمِنينَ وَالمُؤْمِناتِ في مَشارِقِ الأَرض وَمَغارِبِها سَهْلِها وَجَبَلِها وَبَرِّها وَبَحْرِها، وَعَنّي وَعَنْ والِدَيَّ مِنَ الصَّلَواتِ زِنَةَ عَرْشِ اللهِ وَمِدادَ كَلِماتِهِ)).

الحلقة الثانية عشرة

إنتظار الفرج

ما هو إنتظار الفرج؟ وكيف يكون؟

رُوي عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام: ((**انتظروا الفرج ولا تيأسوا من روح الله، فإنَّ أحبَّ الأعمال إلى الله عزَّ وجل إنتظار الفرج**))، كثرت الروايات والّتي تتحدث عن إنتظار الفرج وفضله، كالرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((**أفضل جهاد أُمَّتي: إنتظار الفرج**)).

إن الإنتظار في اللّغة بمعنى الترقُّب، وهو حالة نفسانيَّة ينبعث منها التهيّؤ لما تنتظره، وضدّه اليأس، فكلَّما كان الإنتظار أشدّ كان التهيّؤ.

وإنَّ معرفة كيفيّة الإنتظار يعد أمر مهمّ جداً؛ لأنَّنا نتحدث عن فترة طويلة استمرّت قروناً حتى الآن، ومرَّت فيها أجيال وأجيال ضمن ظروف مختلفة وفرص متفاوتة، ولا يمكن ترك هذه الأجيال بلا تكليف واضح ومحدَّد، فما هو تكليف هذه الأجيال في هذه الفترة؟ وكيف من المفترض أن يكون إنتظارها لظهور الإمام الحجّة عجل الله فرجه الشريف لتحقّق الفرج على يديه؟

هناك نهجان مختلفان ومتناقضان متصوّران لكيفيّة الإنتظار في زمان الغيبة الكبرى للإمام الحجّة عجل الله فرجه الشريف:

الإنتظار السلبيّ: المقصود منه أن يبقى الإنسان جالساً بدون أيِّ

حراك أو فعاليَّة تذكر، وبدون أن يقوم بأيِّ عمل تغييريّ، ويكتفي بمراقبة علامات الظهور.

أما الإنتظار الإيجابيّ: فهو أن لا يقف الإنسان مكتوف اليدين ساكناً، حتَّى يتحقّق الفرج بظهور الإمام، وإنَّما يقوم بالواجبات الشرعيَّة الملقاة على عاتقه سواء كانت فرديّة أم إجتماعيَّة.

وعند مراجعة الروايات الشريفة، لا شكَّ أنَّنا سنصل إلى نتيجة قطعيَّة تقول: إنَّ المطلوب من الأجيال في عصر الغيبة الكبرى لا يمكن أن يكون مجرَّد السكون والجلوس في البيت، والتخاذل عن الوظائف الشرعيَّة الممكنة، والّتي فيها مصلحة الأمَّة، بل هناك العديد من الأدوار الأساسيَّة الّتي لابد من تنفيذها، ومنها:

طاعة الله وتنفيذ الأحكام الشرعيّة، فاتِّحاد المؤمنين حول قضية الإمام المهديِّ عجل الله فرجه هو سبب مباشر لتعجيل الظهور، وليس المطلوب مجرَّد الاتِّحاد العقائديّ؛ لأنَّ ذلك حاصل منذ زمن بعيد، وإنَّما المطلوب الإتِّحاد على المستوى العمليِّ. وعندما نتحدَّث عن اتِّحاد، فهذا يعني أنَّهم كالجسد الواحد الّذي له رأس واحد يديره ويقوده.

الأمر الآخر هو توحيد الأُمَّة وقوّتها، والقوَّة لها جانبان: قوَّة ماديَّة تأتي من خلال التجهيز والاستعداد والتدرُّب، وقوَّة في القلب والإرادة،

وهذه تنتج من الثبات أمام الإبتلاءات

أيضاً هناك العديد من الروايات تتحدَّث عن أشخاص، ورايات تظهر قبيل ظهور الإمام عجل الله فرجه وتقوم بتهيئة الأرض له والتمهيد لظهوره، كالرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله: ((**يخرج ناس من المشرق فيوطِّئون للمهديِّ**))، بل إنَّ أمنية كلِّ مؤمن أن يكون في ركب جنود القائم عجل الله فرجه عند ظهوره.

كيف نعزّز الإرتباط الروحي بالإمام عجل الله فرجه

إن الإرتباط بالإمام الحجّة المهديّ عجل الله فرجه ليس مجرّد إرتباط بفكرة عقيديّة غيبيّة، بل بإنسان كامل حيٍّ جسداً وروحاً، يعيش بيننا يرانا ونراه، يعرفنا ولا نعرفه يسدّدنا ويوجّهنا إلى حيث مصلحتنا ومصلحة الأمّة، وهو إمام الإنس والجنّ، بل إمام الكون وقوامه، فلولا وجود الإمام لساخت الأرض بأهلها، فهو أمان لأهل الأرض كما أنّ النجوم أمان لأهل السماء، كما ورد في الأحاديث المأثورة عنهم عليهم السلام، وهذا يعني أنّ الإمام عجل الله فرجه لو سحب ألطافه ولم يتدخّل في بعض الشؤون، ولم يعمل على رعاية الأُمّة وتسديدها في حركتها ومواقفها، فالله وحده يعلم كيف سيصبح حال المجتمع الإسلاميّ وإلى أيّ درجة من الإنحطاط والضياع يمكن أن يصل؛ لهذا علينا أن نحافظ على علاقة وصلة وثيقة

بإمام زماننا عجل الله فرجه الشريف.

وهناك الكثير من الأمور التي تقوّي أواصر العلاقة بإمام الزمان عجل الله فرجه الشريف ومنها الدعاء، نشير هنا إلى قسمين من الدعاء:الدعاء لمعرفته والثبات على ولايته، باعتباره حجّة الله تعالى على خلقه، والدعاء له عليه السلام لحفظه ونصرته.

وفي المجالين أدعية كثيرة، فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام: يا زرارة إن أدركت ذلك الزمان – زمان الغيبة – فأدم هذا الدعاء: **((اللَّهمَّ عرّفني نفسك فإنّك إن لم تعرّفني نفسك لم أعرف رسولك، اللَّهمَّ عرّفني رسولك فإن لم تعرّفني رسولك لم أعرف حجّتك، اللَّهمَّ عرّفني حجّتك فإنّك إن لم تعرّفني حجّتك ضللت عن ديني))**.

الفهرس

الحلقة الأولى

حضور الله تعالى في حياتنا ٥

الحلقة الثانية

سبيل الوصول إلى الكمال ١١

الحلقة الثالثة

الإيمان والتسليم لله تعالى ١٧

الحلقة الرابعة

العاقبة الحسنة ٢٣

الحلقة الخامسة

الأخسرون أعمالاً ٢٩

من هم الأخسرون أعمالا؟ ٣٠

الحلقة السادسة

العدل الإلهي واختيار الإنسان ٣٥

إن الله خيّركم بين فعل الخير والشر ٣٦

الحلقة السابعة

معاتبة الله سبحانه لنا كوننا عباده ٤١

لِمَ تقولون ما لا تفعلون؟ ٤٢
الحلقة الثامنة
الرفق واللين ٤٧
الحلقة التاسعة
القرض الحسن وآثاره الإجتماعية ٥٣
ما هو القرض الحسن؟ ٥٤
الحلقة العاشرة
اصالة فطرة الإنسان ٥٩
في الفطرة صفاء وإستقامة ٦١
الحلقة الحادية عشرة
أمل الإنسان ٦٥
الحلقة الثانية عشرة
إنتظار الفرج ٧٣